

تحليل الاستراتيجيات الأيديولوجية للخطاب في ميمية أبي فراس

الحمداني الاحتجاجية على ضوء نظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية

محمد حسن أمراي (الكاتب المسؤول)*

الملخص

تحليل الخطاب النقدي هو نهج متعدد التخصصات يعترف باللغة كشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي ويدرس ممارسة القوة من خلال اللغة. لطالما عكس الأدب النقدي توجهات وأفكار الشعراء الملتزمين وأنصار اضطهاد أهل البيت من خلال عرض مظلوميتهم والبراءة من أعدائهم. إن وجود الأحداث على الساحة الاجتماعية والسياسية قد وفر الأرضية لتواجد الشعراء في هذا المجال. إحدى غرر القصائد التي خلدت في تاريخ الشعر العربي هي ميمية الشاعر المبدع أبي فراس الحمداني الاحتجاجية التي أدانت بها الجرائم التي ارتكبتها طغاة بني العباس ضد أئمة العترة الحمديّة (ع). فمن هذا المنطلق، يتم وضع هذه القصيدة الاحتجاجية في مجال الأدب النقدي، من حيث السياق الاجتماعي والمحتوى والاستراتيجيات اللغوية؛ حيث تسمح للمحلل والناقد بالكشف عن العلاقة بين السلطة والأيديولوجيا والخطاب فيها. لذلك، تحاول هذه المقالة تحليل الأيديولوجيات والآليات اللغوية للخطاب في هذه القصيدة باستخدام طريقة تحليل الخطاب النقدي مع التركيز على نموذج فان دايك الاجتماعي المعرفي. إذ اتخذ شكل تحليل الخطاب النقدي لديه نهجاً مختلفاً عن الآخرين؛ حيث ركز على دور المعرفة في تحليل الخطاب النقدي والتواصل والتفاعلات الاجتماعية. فنجح من خلال ربط المفاهيم الثلاثة للخطاب والمعرفة والمجتمع، أن يقوم بمثلث شكل أساس نظريته المتميزة لتحليل الخطاب النقدي. ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المقال هي أن إبراز النقاط السلبية للآخر في القصيدة أقوى بكثير من إبراز النقاط الإيجابية لأننا وهكذا خلقنا عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر.

الكلمات الدلالية: تحليل الخطاب النقدي، فان دايك، الإبراز، التهميش، ميمية أبي فراس، الأيديولوجية.

*. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، خرم آباد، إيران

Amraei.mh@lu.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٦/٢٩ ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٤/١٥ ق

المقدمة

إنّ تحليل الخطاب هو موضوع متعدد التخصصات له جذوره في مجال علم اللغة العامّ ونهجه الجديد والمتطورّ، أى علم اللغة النقدى، ويليه تحليل الخطاب النقدى فى العقود الأخيرة فى مجموعة واسعة من العلوم مثل الأدب وعلم الاجتماع والفلسفة والعلوم السياسية والفنون وعلم النفس. يرتبط تحليل الخطاب النقدى والنقد اللغوى بالأدب من خلال دراسات تحليل النصوص الأدبية، وعلم الأسلوب والنقد الأدبى. يعتقد محللو الخطاب النقدى بأنّ النصوص الأدبية، مثل النصوص الأخرى، تخدم التواصل؛ لذلك، يمكن أيضاً تحليلها بناءً على المقاربة النقدية. (آفاگل زاده، ١٣٨٦ش: ١٧) تسعى أنماط هذا النهج إلى الكشف عن كل ما يخفى وراء اللغة ويريد بالفعل إزالة الحجاب من النصوص والخطابات وإظهار الحقائق للجمهور؛ لأنّ الأيديولوجيا والنظرة الكونية تلعبان دوراً فى بنية اللغة. لذلك، فإنّ فحص أعمال المؤلف سيسمح للقارئ باكتشاف معناه الحقيقى وفهم ما إذا كان المؤلف قد حاول الكشف عن حقيقة أو توجيه عقل القارئ نحو الهدف الذى يقصده. فى هذا الإطار، فإنّ القضية الرئيسية للبحث الحالى هى تحليل الخطاب النقدى لقصيدة أبى فراس المعروفة بالشفافية، بناءً على آراء تتون فان دايك. فى هذا الصدد، قام المؤلف بتفسير وشرح التراكيب الخطابية لهذا النص وفقاً لمربع فان دايك الأيديولوجى (٢٠٠٣م).

أسئلة البحث

١. كيف ينكشف مضمون الخطاب فى قصيدة أبى فراس التى هى من وظائف أيديولوجية الشاعر فى النص؟
٢. ما هو نوع الخطاب والأدوات اللغوية التى استُخدمت فى شرح الآراء الأيديولوجية للشاعر؟

فرضيات البحث

١. ينكشف مضمون الخطاب فى قصيدة أبى فراس من خلال دراسة الأدوات اللغوية التى استعملها الشاعر فى القصيدة.

٢. إن الأدوات اللغوية التي لجأ إليها أبو فراس في شرح الآراء الأيديولوجية تتمثل في العنوان ومقدار التفاصيل ومستوى الوصف والتركيبات الشكلية، وأشكال الخطاب وإنشاء المسافة أو الفاصلة [بين الأنا و الآخر].

منهجية البحث

تم إجراء هذا البحث في إطار دراسات متعددة التخصصات وبمنهج وصفى تحليلي. يعتمد موضوع البحث على أسلوب البحث في المكتبات من البداية إلى النهاية. بهذه الطريقة، درس المؤلف أولاً الأدبيات وموضوع البحث، واستناداً إلى نص قصيدة أبي فراس، حدد بنائاتها الموجهة نحو الخطاب بناءً على نظرية فان دايك.

خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة لكتاب العرب والفرس ونقادهم حول أشعار أبي فراس وشخصيته الأدبية، في شكل المقالات والكتب والأطروحات الجامعية، ولكن فيما يتعلق بميمية أبي فراس فقد أنجزت دراسات قليلة جداً ومنها:

«شرح ميمية أبي فراس الحمداني» كتاب عني بشرحه علي بن الحسين الهاشمي النجفي (١٣٨٢هـ). موضوع هذا الكتاب هو ترجمة وتفسير القصيدة الميمية لـ "أبي فراس الحمداني" التي كتبها أبو فراس رداً على قصيدة "محمد بن سكرة الهاشمي". وقد أهان ابن سكرة في قصيدته العلويين وأهانهم.

«شرح شافية أبي فراس في مناقب آل الرسول عليهم السلام ومثالب بني العباس» هذا الكتاب لمحمد بن أمير الحاج الحسيني الذي شرحه صفاء الدين البصري (الباحث) (١٤١٦ق) وهو عبارة عن شرح لقصيدة الميمية أو الشافية لأبي فراس الحمداني، أحد مشاهير شعراء القرن الرابع الهجري، والذي يعبر عن عزة آل النبي وظلم بني العباس. «قصيده شافيه أبو فراس حمداني» مقال لمحمد دزفولي (١٣٨٠هـ). وقد تمت في هذا المقال مناقشة الترجمة الكاملة والوصف اللازم والمناسب للقوائد وذكر الأحداث التاريخية المتعلقة بها.

وغيرها من الدراسات القيمة عن أبي فراس الحمداني وأدبه، وقد درس كل منها

الشاعر وحياته الأدبية والعلمية من زوايا مختلفة وأبدت نقاطاً رائعة ومفيدة؛ على الرغم من عدم وجود حاجة أو فرصة لذكر هذه الأعمال في هذا المقال، لكن المؤلف يدرك جيداً أن هذه الأعمال تشبه الأضواء الساطعة، كل منها ينير ركنًا من الظلام للباحثين ويساعدهم كثيرًا في تحقيق أهدافهم وتطلعاتهم. فيؤكد على أنه انتفع بهذه الأعمال القيمة المدروسة في هذا المجال وملاً أمتعته بها، وفي نفس الوقت يحترم جهود هؤلاء العظماء. لكنّه يقول بتواضع إنّه لا يزال هناك مجال للنقاش؛ إذ - على حد علم صاحب هذا القلم - إنّ المصادر التي تناولتنتاجات الشعراء العرب القدامى، لم تلتفت إلى تحليل الخطاب النقدي في قصيدة أبي فراس الميمية. إذًا فنحن حاولنا تحليل الخطاب في ميمية أبي فراس، معتمدين على المربع الأيديولوجي لفان دايك. تُعدُّ هذه الدراسة من الدراسات الأسلوبية المفيدة للقراء؛ إذ إنّها تكشف عن خطاب الشاعر ومكوناته الخاصة والعامة وفقًا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (٢٠٠٣م)، وتشير إشارة سريعة عابرة منحصرة في إيراد شواهد شعرية متفاوتة مع تحليلات وتنقيبات جديدة لم تدرس بعد.

الإطار المفاهيمي والنظري

من الأساليب المستخدمة على نطاق واسع في علم الاجتماع ودراسات العلوم السياسية، والمستوحاة من فروع علم اللغة، هي طريقة تحليل الخطاب. دخلت هذه الطريقة العلوم السياسية لأول مرة مع أعمال ميشيل فوكو. ولكن في وقت لاحق تم استخدامه من قبل أشخاص مثل لاكلو وفيركلاف وموف في أبحاث العلوم السياسية. دخل هذا النهج، في الدراسات الثقافية والاجتماعية والسياسية مع المفكرين مثل ميشيل فوكو ودريدا وميشيل باشو، واتخذ شكلًا نقديًا. وبالتالي، فإن تحليل الخطاب النقدي هو نوع من تحليل الخطاب الذي يدرس الاستخدام غير المشروع للسلطة والتفوق وعدم المساواة في السياق السياسي والاجتماعي من خلال الكلام والكتابة، ويتعامل بشكل أساسي مع أبعاد إساءة استخدام السلطة والظلم وعدم المساواة الناتجة عنها. يعتبر فان دايك تحليل الخطاب النقدي كنوع من التحليل الذي يدرس أساليب

إساءة استخدام السلطة الاجتماعية والهيمنة وعدم المساواة، وكذلك مقاومة النصوص في السياقات الاجتماعية والسياسية ضدها. (آقاگل زاده، ١٣٨٦ش: ٢١) أطلق فان دايك على مقارنته "تحليل الخطاب الاجتماعي المعرفي" الذي يعلق فيه أهمية كبيرة على دراسة الإدراك. تتمثل النقطة المميزة لنموذج فان دايك في إنشاء رابط بين الهياكل "النصية" و"المعرفية" و"الاجتماعية". ووفقاً له، فإن الإدراك الاجتماعي هو الحد الفاصل بين البناء النصي والبناء الاجتماعي ويتم تعريفه على أنه نظام التمثيل والعمليات الذهنية لأعضاء المجموعة. (فان دايك، ١٣٩٣ش: ٧) وفقاً له، من المهم من الناحية النظرية أن يكون هناك وسيط يسمى الإدراك الاجتماعي بين مفاهيم المستوى الجزئي أو النص والمفاهيم على المستوى الكلي أو العلاقات الاجتماعية. (فان دايك، ١٩٩٣م: ٢٨) في الواقع، من أجل شرح الفائدة الاجتماعية للنصوص، من الضروري ربط الهياكل النصية بالإدراك الاجتماعي والإدراك الاجتماعي بالبنى الاجتماعية. يصف فان دايك السمات المتناقضة للخطابات المشتركة في المجتمعات تحت عنوان "المربع الأيديولوجي"، وفي رأيه، يستخدمه مؤيدو كل أيديولوجية على مستويات مختلفة. يستند مربع فان دايك الأيديولوجي (square ideological) على أربع ركائز رئيسية يستخدمها أنصار أي أيديولوجية على مستويات مختلفة. والأركان الأربعة هي: ١. التأكيد على معلومات تحتوى على نقاط إيجابية عنا "الذات". ٢. التأكيد على معلومات تحتوى على نقاط سلبية عنهم (الآخرون). ٣. التهميش وإزالة التأكيد من المعلومات التى تحتوى على نقاط سلبية عنا "الذات". ٤. إزالة التركيز من المعلومات التى تحتوى على نقاط إيجابية عنهم (الآخرون). بإمكاننا أن نحول هذه الركائز الأربع إلى ركيزتين عامتين: الوصف الإيجابي لمجموعتنا وأعضائها (نحن) والوصف السلبي للمجموعة المعارضة أو الأعداء والمعارضين (الآخرون).

المربع الأيديولوجي هو بناء واسع النطاق يتم من خلاله تصميم الاستراتيجيات اللغوية على المستوى الجزئي. على هذا المستوى، يؤمن فان دايك بوجود ست فئات من الخطاب، والتي تشمل: المعنى، والنحو، والبلاغة، والأسلوب، والاستدلال، والعمل. (فيروزيان والزملاء، ١٣٩٧ش: ٨) لكل فئة من هذه الفئات، صمم فان دايك

استراتيجيات لغوية خاصة تُظهر أساليب المشاركة الأيديولوجية فى النص.
فى البحث الحالى، سنناقش بعض الاستراتيجيات النصية هذه، ولكن قبل الدخول
فى المناقشة الرئيسية، نود أن نقدم بعض المفاهيم الأساسية المهمة فى التحليل النقدى
للخطاب:

القوة والهيمنة وأيديولوجيا

بشكل عام، هناك طريقتان مختلفتان لمفهوم القوة:

النهج السائد والشائع الذى تكون فيه القوة أداة للتراكم. من وجهة
النظر هذه، يتم اختزال السلطة إلى أداة للسيطرة والتحكم والإشراف
والقمع، وهى محدودة فى احتكار شخص معين أو أشخاص معينين ويتم
تطبيقها على المرؤوسين الذين لا حول لهم ولا قوة. فى المقابل، تتخذ رؤية
فوكو للسلطة موقفًا مختلفًا تمامًا تجاه مفهوم القوة. وفقًا لفوكو، تلقى السلطة
بظلالها على جميع العلاقات فى المجتمع وهى استراتيجية متاحة لجميع
طبقات المجتمع ويتم تطبيقها على الحكام والقواد. (ضميران، ١٣٨٧ش:
١٦٠) لذلك يمكن القول: إن التيار المهيمن للتحليل النقدى للخطاب عن
طريق اختزال علاقات القوة فى علاقات الهيمنة والسيطرة يميل إلى النهج
الأول؛ بالإضافة إلى ذلك، فإن وجهة نظر المؤلف حول مفهوم القوة فى
هذا البحث هى نفسها أيضًا.

الهيمنة تعنى الهيمنة الخطابية أو الخطاب السائد فى تحليل الخطاب المهيمن، الهيمنة
تعنى الخطاب السائد الذى من ناحية هو صاحب السلطة، ومن ناحية أخرى يخلق
الأيديولوجيا والمعنى بسبب الوصول إلى مصادر القوة. دائمًا ما تكون الخطابات
فى اتجاه إعادة إنتاج المعنى، ورفض الخطابات المتنافسة فى النزاعات الاجتماعية
والخلافات مع بعضها البعض، وإنشاء قوتها الخاصة حتى تصبح خطابًا طبيعيًا (مهيمنًا).
(آقاگل زاده، ١٣٩٢ش: ١٠٣) لذلك، يعتبر الأدب أداة لتحليل العلاقة بين الأدب
والمجتمع. يستخدم هذا المفهوم لتحديد موقع الكتاب والمثقفين فى المجتمع ولتحليل

الدور الذى تلعبه القوى الاجتماعية فى النصوص الأدبية.

لدى فان داىك مقارنة محايدة للأيديولوجيا وهى المعتقدات الأساسية للجماعات وأساس العمل يعرف المجتمع الاجتماعى أنه يجد هوية مع الخطاب ويؤثر على الخطاب ويرتبط بسياق الموقف والمجتمع والسلطة على المستوى الكلى؛ وهو يعتقد أن الأيديولوجيات تعتمد بطبيعتها على المجتمع. وعلى مستوى الوصف النظرى، فهى تعتبر جزءاً من أفكار كل فرد فى المجتمع، وعلى مستوى آخر، فهى تعبير شائع عن الأفكار المعرفية والاجتماعية التى تم نشرها بين الناس من مجموعة. وهى تعتبر قواسم مشتركة فيما بينها وترتبط بالأوضاع والتفاعلات الاجتماعية على المستوى الكلى ومن ناحية أخرى بالمجموعات والعلاقات الجماعية والمؤسسات والمنظمات والحركات والسلطة والسيادة. (فان داىك، ١٣٩٣ش: ١٢٢)

استقطاب نظام الخطاب فى قصيدة أبى فراس الحمدانى

يربط فان داىك بين ثلاثة مفاهيم متمثلة فى الخطاب والمعرفة والمجتمع. يشير الخطاب إلى حدث اتصال يتضمن التفاعلات المنطوقة والنص المكتوب وحركات الجسد والصور وكذلك تصميم الصفحة والجوانب السيميائية المتعلقة بالآثار الدلالية. (سلطانى، ١٣٨٤ش: ٥٩) والمعرفة تعنى المعرفة الشخصية والاجتماعية والمعتقدات والأهداف والتقييمات والمشاعر والهياكل العقلية الأخرى. (فان داىك، ١٩٩٣م: ٣١) يشمل المجتمع أيضاً التفاعلات الجزئية المحلية والهياكل السياسية والاجتماعية والعالمية الكلية. إن دور الهوية كأبرز دور فى خطاب أبى فراس الحمدانى يبرز القضايا المنهجية لمقاربات الخطاب. ومما هو ضرورى لتحقيق هذا الهدف هو كيفية إعادة إنتاج وإدامة الهمينة الاجتماعية فى السياق السياسى والاجتماعى. (شيفرن والزملاء، ٢٠٠١م: ١٢) فى الشعر الأيديولوجى والدينى لأبى فراس الحمدانى، تم تصميم بنية هوية "الأنا" فى اتجاه إبراز أهل البيت وأتباعهم، وكذلك بنية هوية "الآخر" فى اتجاه تهميش بنى عباس وأتباعهم. فى ضوء ذلك، يتم إنشاء نظام من الإبرازات (B+) والتهميشات (H=)، على هذا النحو:

استقطاب نظام الخطاب في قصيدة أبي فراس الحمداني

الرديف	المثال الشعري	قطب الخطاب
١	أَلْحَقَّ مَهْتَضَمٌ وَالدِّينَ مَخْتَرَمٌ *** وَفِي آلِ رَسُولِ اللَّهِ مَقْتَسَمٌ	=H
٢	يَا لِلرِّجَالِ! أَمَا لِلَّهِ مُنْتَصَفٌ *** مِنْ الطَّغَاةِ؟ أَمَا لِلدِّينِ مُنْتَقِمٌ؟!	=H
٣	بَنُو عَلِيٍّ رِعَايَا فِي دِيَارِهِمْ *** وَالْأُمُرُ تَمْلِكُهُ النِّسَاؤُ، وَالْخَدَمُ!	=H
٤	فَالْأَرْضُ، إِلَّا عَلَى مُلَّاكِهَا، سَعَةٌ *** وَالْمَالُ، إِلَّا أَرْبَابُهُ، دَيْمٌ	=H
٥	وَمَا السَّعِيدُ بِهَا إِلَّا الَّذِي ظَلَمُوا *** وَمَا الْغَنَى بِهَا إِلَّا الَّذِي حَرَمُوا	=H
٦	لِلْمُتَّقِينَ، مِنَ الدُّنْيَا، عَوَاقِبُهَا ***	+B
٧	وَأِنْ تَعْجَلَ مِنْهَا الظَّالِمُ الْأَثَمُ	=H
٨	لَا يَطْغَيْنَ "بَنَى الْعَبَّاسِ" مُلْكُهُمْ! *** "بَنُو عَلِيٍّ" مَوَالِيَهُمْ وَإِنْ زَعَمُوا	=H
٩	أَتَفْخَرُونَ عَلَيْهِمْ؟ - لَا أَبَا لَكُمْ - *** حَتَّى كَأَنَّ "رَسُولَ اللَّهِ" جَدَّكُمْ	=H
١٠	وَمَا تَوَازَنَ، يَوْمًا، بَيْنَكُمْ شَرَفٌ *** وَلَا تَسَاوَتْ بِكُمْ، فِي مَوْطِنٍ، قَدَمٌ	+B
١١	وَلَا لَكُمْ مِثْلَهُمْ، فِي الْمَجْدِ، مُتَصِلٌ *** وَلَا لِمَجْدِكُمْ مَسْعَاةُ جَدَّهُمْ	+B
١٢	وَلَا لِعِرْقِكُمْ مِنْ عِرْقِهِمْ شِبْهُ *** وَلَا "نَفِيلَتِكُمْ" مِنْ أَمِهِمْ أُمُّ	+B
١٣	قَامَ النَّبِيُّ بِهَا "يَوْمَ الْغَدِيرِ" لَهُمْ *** وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاقُ وَالْأُمَمُ	+B
١٤	حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا *** بَاتَتْ تَنَازَعُهَا الذُّوْبَانُ وَالرَّحْمُ	=H
١٥	وَصُيرَتْ بَيْنَهُنَّ سُورَى كَأَنَّهُمْ *** لَا يَعْرِفُونَ وَلَاةَ الْحَقِّ أَيُّهُمْ!	=H
١٦	تَاللَّهِ، مَا جَهَلَ الْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا ***	+B
١٧	لَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا	=H
١٨	ثُمَّ ادَّعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِزْنَهُمْ، *** وَ مَا لَهُمْ قَدَمٌ، فِيهَا، وَلَا قِدَمٌ	=H
١٩	وَلَا رَأَهُمْ "أَبُو بَكْرٍ" وَصَاحِبُهُ *** أَهْلًا لِمَا طَلَبُوا مِنْهَا، وَمَا زَعَمُوا	=H
٢٠	أَمَّا "عَلِيٌّ" فَقَدْ أَدْنَى قَرَابَتِكُمْ *** عِنْدَ الْوَلَايَةِ، إِنْ لَمْ تَكْفِرِ النِّعَمَ!	+B
٢١	هَلْ جَا حِدٌ يَابَنَى الْعَبَّاسِ نِعْمَتَهُ *** أَوْ كُمْ أَمَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَمْ قُشْمٌ	=H
٢٢	بَسَّ الْجَزَاءُ جَزَيْتُمْ فِي بَنِي "حَسَنِ" ***	=H
٢٣	أَبُوهُمْ الْعَلَمُ الْهَادِي وَأُمَّهُمْ	+B
٢٤	لَا بَيْعَةٌ رَدَعَتْكُمْ عَنْ دِمَائِهِمْ *** وَلَا يَمِينٌ وَلَا قُرْبَى وَلَا ذِمَّةٌ	=H
٢٥	هَلَّا صَفَحْتُمْ عَنِ الْأَسْرِ بِلَا سَبَبٍ	=H

الرديف	المثال الشعري	قطب الخطاب
٢٦	لِلصَافِحِينَ بَيْدَرٍ عَن أَسِيرِكُمْ	+B
٢٧	هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنِ الدِّيَاكِ أَلْسِنُكُمْ *** وَعَن بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ شَتْمُكُمْ	=H
٢٨	مَانَزَّهَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ مُهْجَتُهُ *** عَنِ السَّيَاطِ فَهَلَّا نَزَّهَ الْحَرُمُ	=H
٢٩	مَانَالَ مِنْهُمْ بَنُو حَرْبٍ وَإِنْ عَظُمَتْ *** تِلْكَ الْجَرَائِرُ إِلَّا دُونَ نَيْلِكُمْ	=H
٣٠	كَمْ غَدْرَةٌ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَاضِحَةٌ *** وَكَمْ دَمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ	=H
٣١	أَأَنْتُمْ أَلَهُ فِيمَا تَرَوْنَ وَفِي *** أَظْفَارِكُمْ مِنْ بَنِيهِ الطَّاهِرِينَ دُمُ	=H
٣٢	يَا جَاهِدًا فِي مَسَاوِيهِمْ يَكْتُمُهَا *** غَدْرُ الرِّشِيدِ يَبْحِي كَيْفَ يَنْكُتُمْ	=H
٣٣	لَيْسَ الرِّشِيدُ كَمُوسَى فِي الْقِيَاسِ وَلَا ×× مَأْمُونُكُمْ كَالرِّضَا إِنْ أَنْصَفَ الْحَكَمُ	+B
٣٤	بَاؤُوا بِقَتْلِ الرِّضَا مِنْ بَعْدِ بَيْعَتِهِ *** وَأَبْصَرُوا بَعْضَ يَوْمِ رُشْدِهِمْ وَعَمُوا	=H
٣٥	لَبِئْسَ مَا لَقِيتَ مِنْهُمْ وَإِنْ بَلَّيْتَ *** بِجَانِبِ الطُّفِّ تِلْكَ الْأَعْظَمُ الرَّمَمُ	=H
٣٦	لَا عَن أَبِي مُسْلِمٍ فِي نُصْحِهِ صَفْحَا *** وَلَا الْهَبِيرَى نَجَى الْحِلْفُ وَالْقَسَمُ	=H
٣٧	وَلَا الْأَمَانُ لِأَزْدِ الْمُوصِلِ اعْتَمَدُوا *** فِيهِ الْوَفَاءُ وَلَا عَنْ عَمِّهِمْ حَلِمُوا	=H
٣٨	لَا يَغْضَبُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ إِنْ غَضِبُوا *** وَلَا يَضِيعُونَ حُكْمَ اللَّهِ إِنْ حَكَمُوا	+B
٣٩	تَبْدُو التَّلَاوُةُ مِنْ آيَاتِهِمْ أَبَدًا	+B
٤٠	وَفِي بُيُوتِكُمْ الْأَوْتَارُ وَالنَّعْمُ	=H
٤١	مِنْكُمْ عُليَّةٌ أَمْ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ *** شَيْخُ الْمُغَنِّينَ إِبْرَاهِيمُ أَمْ لَكُمْ	=H
٤٢	مَا فِي دِيَارِهِمْ لِلْخَمْرِ مُعْتَصَرٌ *** وَلَا بُيُوتُهُمْ لِلسَّوِّ مُعْتَصَمٌ	+B
٤٣	وَلَا تَبَيَّتَ لَهُمْ خُنْتِي تُنَادِمُهُمْ *** وَلَا يَرَى لَهُمْ قِرْدٌ لَهُ حَسَمٌ	+B
٤٤	الرُّكْنُ وَالْبَيْتُ وَالْأَسْتَارُ مِنْزَلُهُمْ *** وَزَمَزَمٌ وَالصَّفا وَالْحِجْرُ وَالْحَرُمُ	+B
٤٥	صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا *** لِأَنَّهُمْ لِلْوَرَى كَهْفٌ وَمُعْتَصَمٌ	+B

بالنظر إلى الجدول أعلاه، نلاحظ أن نظام الخطاب في قصيدة أبي فراس يقوم في الغالب على تهميش هوية الآخر أو الرقيب، والشاعر على دراية بطرق إعادة إنتاج السلطة في الخطاب من خلال إبراز هوية الأنا (أهل البيت) وتهميش هوية الآخر (بنو عباس)، تتم عملية إنتاج وفهم الخطاب بصورة متزامنة. من خلال عملية إنتاج الخطاب، تدخل الهيمنة اللغة، وتؤثر على الهياكل اللغوية، ومن خلال عملية فهم الخطاب، تؤثر الهيمنة على عقول الجمهور والمخاطبين. إن أبا فراس، في بداية القصيدة، من خلال

توضيح النقطة التي مفادها أن أسس الحق والحقيقة قد تم تدميرها وأن ممتلكات آل بيت النبي أصبحت فى أيدي الأعداء يقوم فى الواقع بإجراء دعوة عامة ويطلب من الناس انتقام أهل البيت من الأعداء. يعتقد الشاعر أن أسرة الإمام على (ع) هم أهل للخلافة وتستحقها. فى حين أن الخلافة قد أوكلت إلى أيدي غير الأكفاء؛ حيث يواصل الشاعر توبيخ بنى أمية وبنى عباس ويقول إن أصحاب الخلافة هم الإمام على (عليه السلام) وأبناءؤه مشيراً الى حادثة الغدير التي كان من أهم غاياتها تنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة حقاً لرسول الله (ص) بأمر من الله تعالى:

قامَ النبي بها " يومَ الغدير " لهم وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاقُ وَالْأُمَمُ
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا بَاتَتْ تَنَازَعُهَا الذُّبَابُ وَالرَّخَمُ
وَصِيرَتْ بَيْنَهُنَّ سُورَى كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وَلَا هِ الْهَقَّ أَيُّهُمْ
تَاللَّهِ، مَا جَهِلَ الْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا لَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا
ثُمَّ ادَّعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِرْثَهُمْ وَمَا لَهُمْ قَدَمٌ فِيهَا، وَلَا قَدَمٌ
وَلَا رَأَهُمْ " أَبُو بَكْرٍ " وَصَاحِبُهُ
أَهْلًا لِمَا طَلَبُوا مِنْهَا، وَمَا زَعَمُوا

(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٦)

فى الحقيقة أنَّ الشاعر بإعلانه عن ضياع الحقيقة، وهدم الدين، وتقسيم الممتلكات الطاهرة لآل بيت النبي بأيدي الأعداء واغتصاب الخلافة والولاية، يوفر أرضية لتهميش هوية الأعداء ومؤيديهم. فمن ثم، يربط كل النقاط السلبية ببنى عباس وأنصارهم؛ حيث يتابع بالقول ويعبر عن التفوق النسبى والعائلى لأبناء الإمام على (ع) فى مقطع آخر من قصيدته مشيراً إلى بعض الصفات المرفوضة والمدانة للعباسيين أمام أبناء الإمام على (ع) ويتحول إلى إدانتهم. وبعد مقدمة مشحونة بالعطف على آل البيت ينتقل الأمير الشاعر إلى هجاء العباسيين، لأنهم نالوا الخلافة بالرسول، ثم لم يراعوا حرمة آل بيته، ويعقد مقارنة بين بنى على (ع)، وبنى العباس، ويقول:

لَا يَطْعِينُ " بَنِي الْعَبَّاسِ " مَلِكُهُمْ ! بَنُو عَلِيٍّ " مُوَالِيَهُمْ وَإِنْ زَعَمُوا
أَتَفْخَرُونَ عَلَيْهِمْ ؟ - لَا أَبَا لَكُمْ حَتَّى كَأَنَّ " رَسُولَ اللَّهِ " جَدُّكُمْ

وَمَا تَوَازَنَ، يَوْمًا، بَيْنَكُمْ شَرَفٌ وَلَا تَسَاوَتْ بُكْمٌ، فِي مَوْطِنٍ، قَدَمٌ
وَلَا لَكُمْ مِثْلَهُمْ، فِي الْمَجْدِ، مُتَصِلٌ وَلَا لِحَدِّكُمْ مَسْعَاةٌ جَدَّهُمْ
وَلَا لِعِرْقِكُمْ مِنْ عِرْقِهِمْ شَبَةٌ
وَلَا " نَفِيلَتَكُمْ " مِنْ أَمِهِمْ أُمٌّ

(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٦-١٣٥)

نرى أبا فراس يقارن بين نسب أهل البيت ونسب بنى عباس مستذكرًا بعض فضائل أهل البيت وغيرها من الحملات الدلالية السلبية للعباسيين التي يحاول من خلال تكرارها التعبير عن أهميتها في هذا النقاش الشعري الديالكتيكي وتعديل الهياكل اللغوية بطريقة تنقل الأيديولوجية الفارقة المطلوبة التي يترصدها الشاعر بشكل جيد. وبفعله هذا يريد أن يكشف عن عيوب بنى عباس ومثالبهم، وبالتالي يحاول أن يثبت تفوق أهل البيت القومي والنسبي عليهم. في السياق ذاته، فإنّ المربع الأيديولوجي لفان دايك يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب بين الأنا والآخر. حاول الشاعر، من خلال هذه القصيدة الشعرية الإعلان عن مكانة أهل البيت الاجتماعية الرفيعة، فقام بإتيان الهياكل اللغوية المطلوبة واحدة تلو الأخرى بطريقة تنقل إيديولوجيته المطموحة والمرغوبة بشكل جيد. في السياق ذاته، إذا ركّز القارئ فقط على معنى الكلمات وبنية الجملة في النظام اللغوي للنص، فستصبح معان عديدة للنص مستورة عليه؛ لأنّ عامل إنتاج المعنى وفهم النص ليس فقط شكله النحوي؛ بل هناك عناصر وظيفية، وعوامل مافوق اللغة بشكل عام متورطة في إنتاج المعنى وفهم النص، وفهم النص لا يعتمد فقط على المعنى اللغوي. (آقاگل زاده، ١٣٨٥ش: ٨٤-٨٣) فإن الشاعر إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة في الخطاب، يحاول التعبير عن نقاط ضعف بنى عباس. إذن فلا يركّز على إعلاء شأن آل الرسول في قصيدته فحسب بل نراه يهجو بنى عباس بأمرٍ لهجة؛ حيث يسميهم بـ"الطّغاة" و"النّسوان" و"الخدم" و"الذّوبان" والرخم" و إلخ. يريد أبو فراس بهذا أن يظهر فجوة نسبية واجتماعية عميقة بين أهل البيت وبين بنى عباس؛ متوخيا التركيز على عزتهم وسيادتهم التي لا يمكن تجاهلها. من خلال النظر في مكونات الخطاب، نستنتج أن الشاعر أراد أن ينقل فكرة أو إيديولوجيا

عامة في شعره وهى أفضليته النسبية والقومية لأهل البيت أمام العباسيين؛ فمن ثم نراه ركّز على منظومة إيديولوجية رمزية ذات طابع مهيمن مستذكرًا بعض الأدلة والشواهد الشخصية والتاريخية الخاصة التى تتطلب معلومات هائلة فى الكشف عن هوية بنى عباس السلبية والمرفوضة:

يا جَاهِدًا فى مَسَاوِيهِمْ يَكْتُمُهَا غَدْرُ الرَّشِيدِ بِيحْيَى كَيْفَ يَنْكُتُمُ
لَيْسَ الرَّشِيدُ كَمُوسَى فى الْقِيَّاسِ وَلَا مَأْمُونُكُمْ كَالرَّضَا إِنْ أَنْصَفَ الْحَكَمُ
بَاؤُوا بِقَتْلِ الرَّضَا مِنْ بَعْدِ بَيْعَتِهِ وَأَبْصَرُوا بَعْضَ يَوْمِ رُشْدِهِمْ وَعَمُوا
لَيْسَ مَا لَقِيتَ مِنْهُمْ وَإِنْ بَلِيتَ بِجَانِبِ الطِّفْلِ تِلْكَ الْأَعْظُمُ الرِّمَمُ
لَا عَنَ أَبِي مُسْلِمٍ فى نُصْحِهِ صَفَحُوا
وَلَا الْهَبِيرَى نَجَى الْحِلْفُ وَالْقَسَمُ

(الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٧)

يشير الشاعر فى الأبيات أعلاه إلى الغدر والخداع الأبدى لعائلة بنى عباس، مستذكرًا بعض الشواهد والأماكن التاريخية الهامة التى تتمخض عنها هوية العباسيين الحقيقية؛ حيث يشير إلى ما جرى بيحى خالد برمكى على يد هارون رشيد كما يشير إلى استشهاد الإمام الرضا وقتل أبو مسلم، وكذلك يستنكر حادثة كربلاء القديمة واستشهاد الإمام الحسين (ع) وهو يعتقد أن خيانات العباسيين كثيرة وهم ارتكبوا جرائم كثيرة بحق أهل البيت. إن معنى الإشارات التاريخية أعلاه يختلف باختلاف المواقف، وهو السياق الخارجى، وإذا أتبع الفرد مقاربة الخطاب، فيمكنه الوصول إلى المعانى غير المستقرة للإشارات بمساعدة السياق الخارجى ونقلها بدقة أكبر. لا شك أن أيديولوجية النصوص مستخرجة من أعماق بنية المفردات والجمل ولا من ظاهرها. وبلغة أبسط، فإن تحليل الخطاب النقدى، الذى يتجاوز البنيوية وما بعد البنيوية، هو الذى يحدد عمق المعنى، وعناصر مثل الإشارات التاريخية، واللغوية وخاصة الظرفية، هى الوسائط والطرق للوصول إلى هذا العمق. إنَّ أبا فراس، إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة فى الخطاب، يمارس عملية إنتاج ومعرفة الخطاب فى آن واحد عبر التأكيد على نقاط بنى عباس السلبية. فبالتالى يحاول التعبير عن نقاط ضعف العباسيين

وإخفاقاتهم وكشف الستار عن عيوبهم وماضيهم المفعم بالانكسارات، مذكراً شيئاً من مفاخر أهل بيت النبي (ص).

مكونات صياغة المعنى في نظام الخطاب لقصيدة أبي فراس الحمداني
يعتقد فان دايك أن الأيديولوجيا يمكن أن تظهر في أى مكان في الخطاب، لكن محتوى هذه الأيديولوجية يتجلى مباشرة في المعنى. (128: 2001م، Van Dijk) فهو يقدم جوانب مختلفة من المعنى، بما في ذلك العنوان ومقدار التفاصيل ومستوى الوصف والتركيبات الشكلية، وأشكال الخطاب وإنشاء المسافة أو الفاصلة [بين الأنا والآخر].

العنوان في نظام الخطاب

يعتقد فان ديك أن معنى الخطاب لا يقتصر على معنى الكلمات والتعابير؛ فالخطاب له معاني أكثر شمولاً مثل العناوين والفصول؛ العناوين الرئيسية هي الكلمات أو أهم المعلومات في الخطاب وتخرنا بشكل عام عن موضوع الخطاب. تتضمن العناوين معلومات يتم تقديمها بشكل جيد في الخطاب، فإذا أردنا التأكيد على نقاطنا الجيدة أو النقاط السيئة للآخرين، فإن أول شيء نفعله هو إثارة مثل هذه النقاط في العناوين الرئيسية. (فان دايك، ١٣٩٣م: ٦٧) إن العنوان هو بطاقة دعوة للقراءة يلعب دوراً كبيراً في إثارة القارئ وجلب انتباهه إلى الموضوع الرئيسي وله دور حاسم في تغطية المعنى أو تقديمه. إن التأمل البسيط في مطلع قصيدة أبي فراس يظهر أن الشاعر بدأ حديثه بمطلع رثائي متفجع يدور على معنى واحد، وهو سحق الحق، وضعف الدين، واغتصاب فيء آل بيت رسول الله. في هذه القصيدة، استخدم الشاعر عبارة "الحق مهتضم والدين مخترم ... من أجل خلق قطبية وكسر هيمنة الخطاب السائد والإشارة إلى أيديولوجية انتفاضة الشعب للمطالبة بحق المظلوم من الظالم، ومنذ البداية يعرف الجمهور بمفاهيم اغتصاب الحق، والحرمان والقمع والظلم و... حيث بدأ قصيدته بـ«الحق مهتضم والدين مخترم *** وفيء آل رسول الله مقتسم ...». وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على محرومية أهل البيت واضطهادهم. من الملاحظ أن الشاعر وظف العبارات الاسمية الخبرية، فحاول اعلان ثورة عارمة ضد الظلم. إن عنوان هذه

القصيدة يعبر عن حقوق أهل البيت المفقودة وضعف الدين وتقسيم ممتلكات الأسرة العلوية على غيرهم، لدرجة أن الشاعر يستمر في نداء عام، فإنه يدعو الناس إلى نصره الدين وأصحابه الرئيسيين، أى أهل البيت (ع)، ولهذا السبب، منذ بداية القصيدة، يخلق استقطاباً بين أهل البيت والعباسيين ويحدد الإطار الدلالي والخطابي في قصيدة للجمهور والمخاطبين؛ حيث يقول:

بنو على " رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النَّسَوَانُ، وَالْخَدْمُ
فَالْأَرْضُ، إِلَّا عَلَى مُلَّاكِهَا، سَعَة والمالُ، إِلَّا أَرْبابِهِ، دِيمُ
وَمَا السَّعِيدُ بِهَا إِلَّا الَّذِى ظَلَمُوا وما الغنى بها إِلَّا الَّذِى حَرَمُوا
لِلْمُتَّقِينَ، مَنْ الدُّنْيَا، عَوَاقِبُهَا
وإنَّ تَعَجَلَ مِنْهَا الظَّالِمُ الْأَثَمُ

(الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٥)

إن الإشارة إلى الظلم الذى تعرض له الإمام على (ع) وبنوه هو نوع من البيان الجدلى للتأكيد على الاستقطاب الذى تم إنشاؤه لجعل خطاب الأنا صحيحاً والخطاب الغير مغتصباً فى نظر المتلقين. فى هذا الخطاب الشعري، لا يتم دراسة الكلمات كعامل لغوى / استطرادى فى ظروف ثابتة، ولكن يتم اعتبارها فى النص وكمنتج لخطاب مفتوح وديناميكي ومستمر، ولها علاقات معقدة وغير متوقعة مع السياق، وتستخدم الكلمات الرمزية والمميزة للغيرية فى الخطاب والتعبير عن الأيديولوجية وتحفيز الجمهور. فى هذا المقطع الشعري، يتم إزالة اختيار الكلمات المميزة من شكلها الميكانيكي وجانها الزخرفى وتستخدم كآلية لغوية فى الساحة الاجتماعية فيما يتعلق بالطبقة الكلية لسياق الموقف لتطبيق السلطة أو مواجهتها والتأكيد على النقاط الإيجابية للأنا (أهل البيت) فى الخطاب والنقاط السلبية لخطاب الآخر (العباسيين). ومن الملفت للانتباه، أن مطلع قصيدة أبى فراس يوفر للمتلقى إطاراً رمزياً من الدال المركزى وتشكل صورته الذهنية لإبرازات النص وتهميشاته.

الإحالات المرجعية فى نظام الخطاب

الغرض الرئيسى من الخطاب هو إعطاء معنى لمفاهيم وقيم مجموعة

معينة وتحديد إطار الموضوع قيد المناقشة، يتم تمثيل هذا الإطار من خلال المعنى ويتم تمثيل المعنى دائماً من خلال اللغة ويتطلب فهماً وتفسيراً مستمرين. لذلك، يجب اكتشاف الشبكة المعقدة من الدوال والمداليل من أجل الكشف عن هذه التقنية الخفية وراء المظهر الطبعى للمعنى. أحد مكونات صنع المعنى فى خطاب أبى فراس هى المراجع الضمنية. أحياناً لا ينقل منتج الخطاب معناه بوضوح للجمهور، وأحياناً يستخدم تلميحات لغوية ضمنية لنقل خلفية الرسالة إلى الجمهور. فى هذه الحالة يتوقع مرسل الرسالة من المتلقى أن يفهم معناه من خلال الرجوع إلى المعرفة الخلفية. إن البراغماتية اللغوية تجعل من الممكن للمراسل أن يفهم بشكل أفضل معنى المراجع الضمنية؛ لأنه فى البراغماتية، يتم إيلاء المزيد من الاهتمام لمعنى الأشخاص فى الكلام أكثر من الاهتمام بالمعنى الداللى للكلمات والعبارات. تكمن قيمة التطبيق المعرفى للمراجع الضمنية فى شعر أبى فراس الحمدانى العربى فى المعرفة الخلفية التى تربط على ما يبدو معانى مختلفة؛ لذلك يفهم الجمهور معناها الخفى بتأخير وجهه ذهنى. على سبيل المثال، فى هذا المقطع من القصيدة، فإن أسلوب الخطاب هذا واضح تماماً:

الدِّينُ مُحْتَرَمٌ، وَالْحَقُّ مُهْتَضَمٌ وفى آلِ "رسولِ الله" مقتسمٌ

(الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٥)

البيت أعلاه يشير ضمناً إلى اغتصاب ممتلكات أقارب الرسول (ص)، لا سيما أرض فدك التى أخذتها الخلافة من حضرة فاطمة (س) فى تلك الأيام الأولى بعد رحلة النبى (ص) (الأنصارى الزنجانى، لاتا: ١٣/١٠)؛ حيث لم يندمل الجرح بعد. لذا، فإن مخاطب هذه الأبيات، لكى يعرف ما هو المقصود بفىء رسول الله؟ ومن هم الذين أخذوا أموال أقارب رسول الله وقسموها؟ يجب أن يتسلح بخلفية المعرفة حول هذا الموضوع ويجب أن يكون لديه معرفة أساسية عن هذا. فى المجال ذاته، تقرأ فى

الآيتين ٦ و ٧ من سورة الحشر: "ما أعاد الله لرسوله منهم (اليهود) شئ لم يتجهدوا فى الحصول عليه، ولم تركبوا حصاناً ولا جملأ... ما عاد الله لرسوله من أهل هذه المستوطنات لله ولرسوله وأقاربه. ومعنى الآية أنه إذا أعطى الكفار شيئاً للسلام واستسلموا بغير حرب، فليس كباقي الغنائم حيث خمسها خمساً وأربعة أخماسه على المجاهدين؛ بل ليس لهم نصيب من هذه الغنائم وكلها تحت تصرف الرسول (ص). فمن هذا المنطلق، لما نزلت آية (وآت ذا القربى حقه) قال النبى لفاطمة: الفدك من الأملاك التى أخذت بغير حرب ويختص بى، ثم أعطاها إلى حضرة الزهراء. كما تشير الأدلة إلى أن إعطاء فدك لحضرة الزهراء (س) كان بأمر من الله وأن النبى أطاع أمر الله بإعطاء فدك لحضرة الزهراء. يقول أبان بن تغلب: قلت للإمام الصادق (ع): هل أعطى النبى فدك لفاطمة؟ قال الإمام: فدك من عند الله لفاطمة. (العياشى، ١٣٨٠ق: ٢/٢٨٧) يحتوى البيت أعلاه على مراجع ضمنية لا يمكن فهمها إلا بخلفية معرفة المتلقى بالآيات والروايات حول هذا المجال؛ حيث يشير هذا المقطع من القصيدة إلى حقوق السيدة فاطمة الزهراء وآل النبى المغتصبة. ولكى يفهم المخاطب المعنى المنشود، يجب أن يكون لديه معلومات نسبية ومعرفة كافية بالموضوع وعوامله العديدة، مما يعنى أن على المخاطب أن يخلق صلة وتقارباً بين كلمات الشاعر والإحالات المرجعية كالأيات والأحاديث الموجودة المرتبطة بهذا الموضوع من أجل تحقيق الخطاب المنشود.

فى مقطع آخر من القصيدة، يحيل الشاعر المخاطب إلى معرفة خلفيته ومدى علمه بالقضية باستخدام تقنية المراجع الضمنية، حيث يقول:

يا للرجال! أما الله منتصفٌ من الطَّغاةِ؟ أما للدين مُنتَقِمٌ؟! (الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٥)

فى بعض الروايات والأدعية، ورد ذكر حضرة بقية الله الأعظم (ع) بعنوان "المنتقم". قال الرسول الكريم (ص) فى خطبته الشهيرة يوم عيد الغدير

فى وصف الإمام المهدي (ع): "ألا إِنَّه الظاهر على الدين، ألا إِنَّه المنتقم من الظالمين، ألا إِنَّه فاتح الحصون وهادمها، ألا إِنَّه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك، ألا إِنَّه المدرك بكل ثار لأولياء الله عزّ وجلّ ...". (المجلسي، ١٤٠٣ق: ٢١٣/٣٧) يوضح هذا المقطع المهدي من خطبة غدير تعاليم هذا المعتقد الشيعة الأصيل ويفتح آفاقاً حول نهاية التاريخ ومستقبل الإنسانية المشرق. تشير ثلاث آيات من القرآن الكريم إلى هذه المسألة المهمة، الآية ٣٣ من سورة التوبة المباركة: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ والآية ٩ من سورة الصف المباركة هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ والآية ٢٨ من سورة فتح المباركة: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً. بهذه الفقرة القصيرة يلفت الرسول الكريم (ص) الانتباه إلى حكومة الإمام المهدي العالمية بأن النطاق الجغرافي لهذه الحكومة لن يقتصر على مدينة أو دولة أو قارة أو جزء من الكرة الأرضية. بل إنه سيحكم سيادة العدل الإلهي فى جميع أنحاء الأرض. ومن أجل فهم المعنى المقصود من قصيدة أبى فراس، يجب على المتلقى أن يفهم المراجع الضمنية فى هذه القصيدة، وأن يكون لديه معرفة أساسية ومعلومات سابقة كافية عنها حتى يتمكن من الحصول على الخطاب الأيديولوجي للشاعر.

فى مقطع آخر من القصيدة، يشير الشاعر إلى حادثة غدير خم التاريخية حتى يثبت صحة خلافة الإمام على (ع) فى هذا المجال، فلذلك يدعو المخاطب إلى معرفته السابقة بهذه القضية لفهم المعنى المقصود والحصول على الخطاب الأيديولوجي للشاعر، حيث يقول:

قامَ النّبي بها "يومَ الغدير" لهمُ واللهُ يشهدُ، والأُملاكُ، والأُممُ

(الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٦)

يحتوى يوم غدير على إشارة ضمنية إلى تنصيب الإمام على (ع) خليفة

للمسلمين، وهو مأخوذ من حديث "من كنت مولاه فهذا على مولاه" حيث أعلن نبي الإسلام، على بن أبى طالب "مولى" المؤمنين فى هذا اليوم. (المجلسى، ١٤٠٣ق: ١٧٤/٣٧) وفقاً للتقاليد الإسلامية، فى اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة، عين النبی محمد (ص) الإمام على (ع) فى منصب الخلافة والإمامة وقائد المسلمين. حدث هذا الحدث المعروف بمجاعة غدير خلال موسم الحج فى السنة العاشرة للهجرة وفى أرض غدير خم. فى التقاليد الشيعية، يذكر هذا العيد أيضاً باسم عيد الله الأكبر وعيد أهل بيت محمد (ع) وأشرف الأعياد. والشاعر يحيل المتلقين إلى خلفيتهم الذهنية ومدى معرفتهم بيوم الغدير من أجل إثبات خلافة الإمام على (ع). إذا كان المخاطب على علم بيوم الغدير، فهو يؤكد بخلافة الإمام على وذريته. وفى جزء آخر من القصيدة، للتعبير عن عزلة الإمام على ومظلوميته يشير الشاعر إلى حدث سقيفة بنى ساعدة التى تعتبر أول حدث بعد وفاة نبي الإسلام (ص) فى عام ١١ هـ، حيث انتُخب أبو بكر بن أبى قحافة خليفة للمسلمين:

حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا بَاتَتْ تَنَازَعُهَا الذُّبَابُ وَالرَّخْمُ
وَصُيرَتْ بَيْنَهُنَّ سُورَى كَانَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وِلَاةَ الْحَقِّ أَهْلَهُم
(الحمدانى، ١٩١٠م: ١٣٦)

وبحسب ما ورد فى الروايات المختلفة، فإن "سقيفة بنى ساعدة" كانت مظلة فى إحدى ساحات المدينة، حيث كان يجتمع أهل المدينة ويتبادلون الآراء عند الضرورة. بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، استغلت عشيرة الأنصار المهاجرين وتجمعوا هناك حتى أصبح سعد بن عبادة شيخ قبيلة الخزرج خليفة للنبي (ص). فأخذوه إلى سقيفة بمرضه الشديد لكن مع وصول أبى بكر وعمر وأبو عبيدة وقراءة أبى بكر خطبة وخوف قبيلة أوس من حكم الخزرج، اتفقوا جميعاً على خلافة أبى بكر وبايعوه. (ابن كثير، ١٤٠٨ق: ٢٦٥/٥) بالإشارة إلى هذه القصة، يحيل الشاعر المخاطب إلى خلفيته المعرفية لبضع لحظات ويجعله يشارك فى عملية خلق المعنى فى

خطاب القصيدة. توجد أبيات أخرى فى هذه القصيدة كذلك، حيث لكل منها نوع من الإشارات الضمنية إلى موضوع أو حادثة معينة ولها تأثير فى عملية خلق المعنى فى الخطاب تتجاوز عنها. إنّ العلاقة بين فهم كل من وحدات الخطاب المذكورة أعلاه وارتباطها بالأقسام الرئيسية للقصيدة وهى تتطلب وعى المتلقى ومعرفته بالخلفية للأحداث التاريخية.

إنشاء المسافة أو الفاصلة

هناك أسلوب آخر يشارك فى خلق المعنى للخطاب وهو خلق المسافة أو الفاصلة فى الخطابات. (والكر، ٢٠١١م: ٣٦٢) إحدى أدوات صنع المعنى الأخرى فى الخطاب هى خلق مسافة، وفى الخطابات، يتسبب مفهوم القوة والتضامن فى ظهور المسافة أو إزالتها. بهذه الطريقة، كلما زادت القوة بين المرسل والمتلقى، زادت المسافة بينهما. ومع انخفاض القوة وزيادة الارتباط بين هذين الاثنين، تقل هذه المسافة الموجودة. فى قصيدة أبى فراس، تمت مناقشة معظم الكلمات والتعبيرات التى تُستخدم لإبراز هوية الأنأ أو تهيمش هوية الآخر من أجل خلق مسافة بين هويتين. وبمساعدة هذه الأدوات المعرفية، يؤكد أبو فراس على استقطاب نظام الخطاب فى القصيدة. ويخلق فجوات عميقة بين قطبى الإبراز للأنأ والتهيمش للآخر. يذكر الجدول أدناه بعض هذه التفسيرات التى تساهم فى التباعد وخلق المسافة أو الفاصلة:

الرديف	خلق المسافة أو الفاصلة فى الخطاب	نظام الاستقطاب
آل على (ع)	وفتية، قلبهم قلب إذا ركبوا يوماً - ورأيهم رأى إذا عزموا - للمتقين، من الدنيا عواقبها - قام النبى بها "يوم الغدير" لهم - أمّا "على" فقد أدنى قرابتكم، عند الولاية، - هل جاحد، يا "بنى العباس" نعمته! أبوكم، أم عبّد الله، أم قُتم؟ - لا يغضبون لغير الله، إن غضبوا، - ولا يضيعون حكم الله إن حكموا - تبدوا التلاوة من أبياتهم، أبداً - مافى ديارهم للخمير معتصراً - ولا يبوئهم للسوء مُعتصماً ولا تبيت لهم خنثى، تنادمهم؛ - ولا يرى لهم قرد، له حشم - الركن، والبيت، والأستار منزلهم، - وزمزم، والصفا، والحجر، والحرم - صلى الإله عليهم، أينما ذكروا، لأنهم للورى كهف، ومعتصم	إبراز هوية الأنأ

الرديف	خلق المسافة أو الفاصلة في الخطاب	نظام الاستقطاب
بنو عباس	الدِّينُ مُحْتَرَمٌ، وَالْحَقُّ مُهْتَضَمٌ، وَفِيَّ آلَ "رَسُولِ اللَّهِ" مُقْتَسَمٌ - يا للرجال! أما الله منتصف من الطغاة؟ أما للدين مُنتَقَمٌ؟! - "بنو على رعايا في ديارهم، والأمر تملكه النسوان، والخدم - أتفخرون عليهم؟ لا أبا لكم حتى كأن "رسول الله" جدكم - وما توازن، يوماً، بينكم شرف، ولا تساوت بكم، في موطن، قدم - ولا لكم مثلهم، في المجد، متصل ولا لجدكم مسعاة جدهم - ولا لعرفكم من عرفهم شبه ولا "نفيلتكم" من أمهم أمم - حتى إذا أصبحت في غير صاحبها باتت تنازعها الذويان والرخم - وصيرت بينهن شورى كأنهن لا يعرفون ولادة الحق أيهم! - تالله، ما جهل الأقوام موضعها لكنهن سترن وجه الذي علموا - ثم ادعاهن بنو العباس إرتهن، و ما لهم قدم، فيها، ولا قدم - بئس الجزاء جزيتن في بني "حسن" - لا بيعة ردعتكم عن دمايتهن، ولا يمين، ولا قربي، ولا ذمم - هلاً صفحتن عن الأسرى بلا سبب، للصافحين بيدن عن أسيركم؟ - هلا كففتن عن "الديباج" سوطكم؟ وعن بنات رسول الله شتمكم؟ - ما نزهت لرسول الله مهجته عن السباط! فهلاً نزهة الحرم؟ - ما نال منهم بنو حرب، وإن عظمت تلك الجرائر، إلا دون نيلكم - كم غدرة لكم في الدين واضحة! وكم دم لـ "رسول الله" عندكم؟ - أنتم آل فيما ترون، وفي أطفاركم، من بنيه الطاهرين، دم؟ - ياجاهداً في مسأويهم يكتمها! غدر الرشيد بـ "يحيى" كيف ينكتن؟ - ليس الرشيد كموسى في القياس ولا "مأمونكم كـ"الرضا" إن أنصف - ذاق الزبيرى غب الحنث وانكشفت عن "ابن فاطمة" الأقوال والتهم - باؤوا بقتل "الرضا" من بعد بيعته - يا عصبه شقيت، من بعدما سعدت، ومعشراً هلكوا من بعدما سلموا! - ليس ما لقيت منهم، وإن بليت بجانب "الطف" تلك الأعظم الرمم! - لاعن "أبى مسلم" في نصحه صفحوا، ولا الهبيري يحيى الحلف والقسم - ولا الأمان لأزد "الموصل" اعتمدوا فيه الوفاء، ولا عن عمهم حلموا - أى المفاخر أمست في منابركم؟ - وهل يزيدكم من مفخر علم، وفي الخلاف، عليكم يحقق العلم؟ - وفي بيوتكم الأوتار، والنغم	تهميش هوية الآخر

في المجال ذاته، إنَّ أبا فراس، للإشارة إلى الدال المركزي للخطاب وهو مدح آل على وهجاء بنى عباس، يؤكد على استقطاب نظام الخطاب ويخلق فجوات عميقة بين قطبي الإبراز للأنا والتهميش للآخر، فيقوم الشاعر بإيجاد الفاصلة وخلق المسافة بين الأنا والآخر.

الهياكل النحوية

من وجهة نظر تحليل الخطاب النقدي، فإن الجمل وبنيتها وترتيبها في النصوص ليست شيئاً طبيعياً ومحايذاً، ولكنها تتشكل نتيجة الإجراءات الاجتماعية والسلطة والأيديولوجية المخفية في النص، كما قال فان دايك: في كثير من الأحيان، قد يشير ترتيب الكلمات وكذلك هياكل تبادل الجمل إلى العامل البنيوي الدلالي. يجادل فان دايك بأن منتج الخطاب يستخدم الكلمات والأشكال التي تشير مباشرة إلى الأيديولوجية الكامنة وراء الخطاب. (فان دايك، ٢٠٠١م: ٩٢) في البنية النحوية للجملة، هناك الكثير من الهياكل الممكنة والبديلة التي يمكن استخدامها للتأكيد على المعنى. في جملة ما، يمكن إحضار الكلمات إلى بداية الجملة أو عن طريق تغيير ترتيب الكلمات في الجملة، يمكن جعل الجمل معلومة أو مجهولة، والتي يمكن استخدامها لتسليط الضوء على جمل الخطاب الأيديولوجي. إن إبراز بعض الكلمات والعبارات في النص كتكرار ما ولا الشبهتان بليس وهما من أهم الأساليب النحوية التي وردت في القصيدة، حيث تدل في أغلب صورته على النفي وتأكيد النفي؛ ليؤكد على نفى نسبه الأمور السيئة إلى أهل البيت. ومنه ما يقول:

لا يغضبونَ لغيرِ الله، إن غضبوا ولا يضيعونَ حُكْمَ الله إن حكموا
ما في ديارهم للخميرِ معصرتُ تكشفَتْ ولا يبوئُهمُ للسَّوءِ مُعْتَصَمُ
(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٨)

وكذلك تكرار الجمل السلبية بما ولا الدالتان على الثبوت والنفي لهذه الإبرازات مثل ما جاء في الأبيات الآتية التي تسعى إلى إبراز الميزات الإيجابية للأهل البيت) وتشويه هوية الآخر (بنى عباس) وتهميشها، قائلاً:

وَمَا تَوَازَنَ، يَوْمًا، بَيْنَكُمْ شَرَفٌ وَلَا تَسَاوَتْ بِكُمْ، فِي مَوْطِنٍ، قَدَمُ
وَلَا لَكُمْ مِثْلَهُمْ، فِي الْمَجْدِ، مِتَصَّلُ تَكْشَفَتْ وَلَا لِحَدُّكُمْ مَسْعَاةٌ جَدَّهُمْ
وَلَا لِعِرْقِكُمْ مِنْ عِرْقِهِمْ شَبَهُ تَكْشَفَتْ وَلَا "نَفِيلَتَكُمْ" مِنْ أَمِهِمْ أُمُّ
(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٦)

ضمائر المخاطب الجمعي «كم» (٣٢مرة) وضمير «تم» (٩مرة) الراجعة إلى بني أمية

وبنى عباس يعتبر أحد التركيبات الشكلية لقصيدة أبي فراس. على الرغم من أن أبي فراس كتب القصيدة في غياب بنى أمية وبنى عباس، إلا أنه يستخدم ضمير الجمهور والمخاطب للتعامل مع جرائمهم وجهاً لوجه وبنوى إدانة جرائمهم بشكل مباشر:

أُتَفَخَّرُونَ عَلَيْهِمْ؟ - لَا أَبَا لَكُمْ حَتَّى كَأَنَّ "رَسُولَ اللَّهِ" جَدَّكُمْ

(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٥)

فهو يسعى إلى الدفاع الشامل عن آل على (ع) بـ"الأنا" المفعم بالشكوى والتضجر يبرز فيها الاستعلاء وإبراز الأنا (الامام على وأهل بيته) وتهميش الآخر (بنى عباس)؛ كما وظف الشاعر الأفعال ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية لبنى عباس وأتباعهم، ومنها «باتت تنازعها الذوبان والرخم - وَصِيرَتْ بَيْنَهُنَّ شُورَى كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وَلَاَةَ الْحَقِّ أَيُّهُمْ! - ثُمَّ ادَّعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِرْتَهُمُ، وَمَاهُمُ قَدَمَ، فِيهَا، وَلَا قِدَمُ - بَسَّ الْجَزَاءَ جَزَيْتُمْ فِي بَنِي "حَسَنِ" ! - هَلَّا صَفَحْتُمْ عَنِ الْأَسْرَى بِلَا سَبَبٍ، لِلصَّافِحِينَ بَيِّدَرٍ عَنْ أَسِيرِكُمْ؟ - هَلَا كَفَفْتُمْ عَنِ "الدِّيَاجِ" سَوَطَكُمْ؟ وَعَنْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ شَتْمَكُمْ؟ - مَا نَزَّهَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ مُهَجَّتُهُ عَنِ السَّيَاطِ! فَهَلَّا نَزَّهَ الْحَرَمُ؟ - مَا نَالَ مِنْهُمْ بَنُو حَرْبٍ، وَإِنْ عَظُمَتْ تِلْكَ الْجَرَائِرُ، إِلَّا دُونَ نَيْلِكُمْ - كَمْ غَدْرَةٌ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَاضِحَةٌ! وَكَمْ دَمٌ لـ "رَسُولِ اللَّهِ" عِنْدَكُمْ؟ ! - أَأَنْتُمْ آلُهُ فِيمَا تَرُونَ، وَفِي أَظْفَارِكُمْ، مِنْ بَنِيهِ الطَّاهِرِينَ، دُمٌّ؟ - يَا جَاهِدًا فِي مَسَاوِيهِمْ يَكْتُمُهَا! غَدْرُ الرَّشِيدِ بـ "يَحْيَى" كَيْفَ يَنْكُتُمْ؟ - لَيْسَ الرَّشِيدُ كُمُوسَى فِي الْقِيَاسِ وَلَا "مَأْمُونَكُمْ كـ" الرضا" إِنْ أَنْصَفُ...».

من جانب آخر، استخدم الشاعر التراكيب الشكلية في قصيدته الهجائية ضد بنى عباس. ومنها إبراز هوية آل أبي طالب عبر توظيف ضمائر الغائب الجمعي «هم» (٤٣مرة) وضمير الواو (٣٢ مرة) وكذلك توظيف الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي المثبت لإبراز النقاط المنبئة لآل على ومشيعيهم، ومنها «قَامَ النَّبِيُّ بِهَا "يَوْمَ الْغَدِيرِ" لَهُمُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ، وَالْأَمْلَاقُ، وَالْأُمَمُ! - هَلْ جَاحِدٌ، يَا "بَنِي الْعَبَّاسِ" نِعْمَتُهُ! أَبُوكُمْ، أَمْ عُيْدُ اللَّهِ، أَمْ قُتْمُ؟ - لَا يَغْضِبُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، إِنْ غَضَبُوا، - وَلَا يَضِيعُونَ حُكْمَ اللَّهِ إِنْ حَكَمُوا - تَبَدُّوا التَّلَاوَةَ مِنْ أَيْبَائِهِمْ، أَبَدًا - مَا فِي دِيَارِهِمْ لِلْخَمْرِ مَعْتَصِرٌ - وَلَا يُبَيِّتُهُمُ لِلسَّوَاءِ مُعْتَصِمٌ وَلَا تَبَيَّتْ لَهُمْ خَنْثَى، تَنَادَمَهُمْ؛ - وَلَا يَرَى لَهُمْ قَرْدَ، لَهُ حَشْمٌ - الرُّكْنُ، وَالْبَيْتُ،

وَالْأَسْتَارُ مَنْزِلُهُمْ، -وَزَمَزَمَ، وَالصَّفَا، وَالْحِجْرُ، وَالْحَرَمُ- صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ، أَيْنَمَا ذُكِرُوا،
لأنهم للورى كهف، ومعتصمٌ و... إلخ. بحيث يتجلى فيها إبراز الأنا (آل على) وتهميش
الآخر (بنى عباس).

مقدار التفاصيل ومستوى الوصف

ويحاول منتج الخطاب التعبير عن المعنى بشكل أوضح من خلال الاهتمام بالكثير من
التفاصيل والأوصاف. تحتوى هذه القصيدة على عناصر وصفية وتفاصيل خاصة، يهدف
الشاعر من وراء كل منها إلى توضيح معالم الذات وتهميش نقاط الآخرين. وفي هذا
السياق، عندما يريد أبو فراس أن يمدح آل على بأشعاره ويثبت تفوقهم على بنى العباس،
فإنه ينتبه إلى تفاصيل وجزئيات محددة لخطاب لتوضيح معناه وفكرته؛ حيث يقول:

كَأَنْتَ مَوْدَّةٌ سَلَمَانَ لَهُ رَحِمًا، مَضَوْا	وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ رَحِمٌ
يَاجَاهِدًا فِي مَسَاوِيهِمْ يَكْتُمُهَا	غَدْرُ الرَّشِيدِ بـ "يَحْيَى" كَيْفَ يَنْكُتُمْ؟
لَيْسَ الرَّشِيدُ كُمُوسَى فِي الْقِيَاسِ وَلَا	مَأْمُونَكُمْ كـ "الرَّضَا" إِنْ أَنْصَفُ
ذَاقَ الزَّيْبَرِي غِبَّ الْحِنْثِ وَانْكَشَفَتْ	عَنْ "ابْنِ فَاطِمَةَ" الْأَقْوَالُ وَالتَّهْمُ
بَاؤُوا بِقَتْلِ "الرَّضَا" مَنْ بَعْدَ بَيْعَتِهِ	وَأَبْصَرُوا بَعْضَ يَوْمٍ رُشْدَهُمْ وَعَمُوا

يا عَصْبَةُ شَقِيقٍ، مِنْ بَعْدَمَا سَعَدْتُ

وَمَعَشَرًا هَلَكُوا مِنْ بَعْدَمَا سَلِمُوا

(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٧)

ومن خلال ذكر الجمل الوصفية والإتيان بالأدلة الشخصية والإنسانية، فقد ذكر
أبو فراس تفاصيل تتعلق بمصادر إلهاماته الشعرية. وهكذا نجده يعدد مصادر إلهامه
الشعري بتفاصيل شخصية تتيح للشاعر فرصة تفضيل آل على (ع) على بنى العباس.
حيث يشير إلى ذكر الجزئيات التي يتمخض عنها هذا الفضل والاستعلاء. ومن جانب
آخر، يصف الشاعر كذلك بعض الأحداث التاريخية وأسماء القبائل والأشخاص التي
تكشف عن انهزامات بنى عباس وخيبتهم بما فيه استشهاد الإمام حسين وأصحابه
وقضية أبي مسلم في أيامهم و... إلخ؛ لأنه بذكر تلك الأحداث يدعى أن آل على أفضل

من بنى العباس ويحط من شأن بنى العباس وأصلهم، قائلا:
 لَيْسَ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ، وَإِنْ بَلِيتُ بجانب "الطف" تلك الأعظم الرممُ
 لاعن "أبي مسلم" في نصحه صفحوا، ولا الهبيري نجى الحلف والقسمُ
 ولا الأمان لأزد "الموصل" اعتمدوا فيه الوفاء، ولاعن عمهم حلموا
 أنبلغ لذيكَ بنى العباس مألُكة
 لاتدعوا ملكها ! ملاكها العجمُ

(الحمداني، ١٩١٠م: ١٣٧)

ومن الواضح أن الشاعر يريد من خلال ذكر هذه الألقاب والرموز الشعرية السلبية أن يزيد من كشف شرور العباسيين وبالتالي التقليل من منزلتهم وشأنهم وفي نهاية المطاف، يجعل آل النبی أفضل عليهم.

أشكال الخطاب

إن وضع الكلمات في محور الرفقة والمجاورة للخطاب يؤدي إلى تكوين أشكال خطائية تمنح الأيديولوجى تصميمًا خاصًا في النص. يتم تجميع وحدات كل سلسلة كلامية وفقًا لقاعدة معينة ولإيصال الرسالة إلى الجمهور. فى قصيدة أبى فراس الاحتجاجية، فإنّ تجاوز بعض الكلمات فى اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر، جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة فى هيمنة الخطاب. إنّ مرافقة وحدات مثل: «وفتية»، قلبهم قلب إذا ركبوا *** يوماً؛ ورأيهم رأى إذا عزموا - للمتقين، من الدنيا، عواقبها - ولا لكم مثلهم، فى المجد، متصل *** ولا لجِدْكُمْ مَسْعَاةٌ جَدَّهِمْ - ولا لعرقكم من عرقهم شبه *** ولا "نفيلتكم" من أمهم أمم - قام النبى بها "يوم الغدير" لهم و... إلخ»، فى قصيدة أبى فراس تنقل المعنى والمفهوم الذى يقصده الشاعر / مدح آل أبى طالب وجدهم ثم هجاء بنى عباس ومن تبعهم.

وفى المجال نفسه، فإنّ مرافقة وحدات مثل: «ثم ادعاها بنو العباس إرثهم - بئس الجزاء جزيتهم فى بنى حسن - لا بيعة ردعتكم عن دمائهم *** ولا يمين ولا قربى ولا رحم - ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت *** تلك الجرائم إلا دون نيلكم - كم

غدره لكم في الدين واضحة*** وكم دم لرسول الله عندكم - أأنتم آله فيما ترون وفي*** أظفاركم من بنيه الطاهرين دم - يا جاهداً في مساويهم يكتمها*** غدر الرشيد يبحي كيف يكتتم و....» في شعر أبي فراس تدلّ على هجاء بنى عباس وبنى أمية ومن شيعوهم. يحتوى هذه العملية ذات الاتجاهين على رؤية الشاعر وإيديولوجيه الخاص للعالم، والتي تضيف الطابع المؤسسى على المادة الخام للتجربة في عالم دى معنى فى وعى المتلقين. فى الواقع، تمكن أبو فراس من خلال مرافقته لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجد وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

النتيجة

يحظى تحليل الخطاب بمكانة خاصة فى دراسة خطابات الشعراء وتهميشها واكتشاف تفاعلاتهم اللغوية مع البنى الأيديولوجية. وفى هذا السياق، تقوم قصيدة أبى فراس أيضا على الإبراز والتهميش. بحيث استخدم فى قصيدته أدوات الخطاب خاصة للتأكيد على هوية الأنأ (الإمام على وأهل بيته) وتهميش هوية الرقيب (بنى عباس ومن تبعهم). إن أبأ فراس قد أنشد قصيدته فى اتجاهين متعاكسين مع بعضهما البعض، وهذه الازدواجية القطبية يمكن رؤيتها فى تعدد الضمائر المستخدمة فى النص فى شكل الأنأ (هم وواو) الذى قد أدّى إلى تشويه هوية الرقيب (الآخر) (كم وأنتم) وتهميشها. من خلال تطبيق المربع الأيديولوجى لفان داىك على نظام الخطاب قصيدة أبى فراس المدروسة، تبين أن إبراز النقاط السلبية للآخر فى القصيدة هذه أقوى بكثير من إبراز النقاط الإيجابية للأنأ وهكذا تم خلق عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالى لإبراز النقاط السلبية إلى حقيقة خاصة هى أن قوام القصيدة يعتمد أساسا على الهجاء وإبراز النقاط السلبية للآخر. إن التوجّه إلى إثبات الهوية والإيديولوجيا هو السبب وراء تشابه البنى الشكلية للخطاب فى القصيدة، ومن أوجه هذا التشابه: التأكيد على بعض الصفات السلبية المنسوبة إلى بنى عباس، والإكثار من توظيف ضمائر المخاطب إلى جانب تكرار الأفعال ذات العبء الدلالي السالب

والباعث على إبراز النقاط السلبية للرقیب، وتشويه هویته وتهمیشها.

المصادر والمراجع

- آقاگل زاده، فردوس. (۱۳۹۲ش). فرهنگ توصیفی تحلیل گفتمان و کاربردشناسی. تهران: انتشارات علمی.
- آقاگل زاده، فردوس. (۱۳۸۶ش). «تحلیل گفتمان انتقادی و ادبیات»، فصلنامه ادب پژوهی دانشگاه گیلان، دوره ۱، شماره ۱، صص ۱۷-۲۷.
- الأنصاری الزنجانی، إسماعیل. (لاتا). الموسوعة الکبری عن فاطمة الزهراء (ع). الموضوع: أهل البيت. قم: دلیلنا.
- الحمدانی، أبو فراس. (۱۹۱۰م). الديوان. قد حل بعض ألفاظه وشرح معنی بعض أبياته نخله قلفاظ. بیروت: المطبعة الأدبية.
- سلطانی، علی أصغر. (۱۳۸۴ش). «تحلیل گفتمان به مثابة نظریه و روش»، دانشگاه باقر العلوم، نشریه علوم سیاسی، دوره ۷، شماره ۲۸، صص ۱۸۰-۱۵۳.
- ضمیران، محمد. (۱۳۸۷ش). میشل فوکو. دانش و قدرت. تهران: هرمس.
- العیاشی، محمد بن مسعود. (۱۳۸۰ش). تفسیر العیاشی. ج ۲. ط ۱. تهران: المطبعة العلمية.
- فاوئر، راجر ودیوید لاج و رومن یاکوبسن. (۱۳۸۶ش). زبانشناسی و نقد ادبی. ترجمه مریم خوزان و حسین پاینده. تهران: نشر نی.
- فیروزیان پوراصفهانى، آیلین و فردوس آقاگل زاده و ارسلان گلفام و عالیہ کردزعفرانلو کامبوزیا. (۱۳۹۷ش). «نقش راهبردهای نحوی در بازنمایی ایدئولوژی مترجمان فارسی در متون ترجمه شده مکتوب سیاسى-اجتماعی با نگاه تحلیل گفتمان انتقادی»، مجله زبانشناسی و گویشهای خراسان، دوره ۱۰، شماره ۱۹، صص ۱-۲۱.
- القرشى البصرى، أبو الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر. (۱۴۰۸ق). البدايه والنهاية. المحقق: علی شیرى. ط ۱. دار إحياء التراث العربی.
- المجلسی، الشیخ محمد باقر. (۱۴۰۳ق). بحار الأنوار. ط ۲، الناشر: مؤسسة الوفاء.
- ون دایک، تئون، ان. (۱۳۹۳ش). ایدئولوژی و گفتمان. ترجمه فاطمه حیدری. مشهد: سخن گستر.
- Fowler, R. (1996). *Linguistic Criticism* (second edition). Oxford: Oxford University Press.
- Halliday, M.A.K.(1985). *An Introduction to Functional Grammar*. London: Edvard Arnold.
- Van Dijk, T (1993). *Elite Discourse and Racism*. Newbury Park, CA: Sage.
- Van Dijk, T (2001). "Multidisciplinary CDA: a Plea For diversity". In Ruth Wodak and Michael Mayer. *Methods of Critical Discourse Analysis* (Pp 95- 121). London: SAGE Publications.